الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

–قسنطينة–

كلية أصول الدين **مخبر الدراسات القرآنية**

والسنة النبوية

قسم الكتاب والسنة

الملتقى الوطني

الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الجهود والمناهج والاتجاهات

محور المداخلة: المحور الثاني

المناهج والاتجاهات العلمية في الدرس التفسيري والحديثي

عنوان المداخلة:

" القرآن الكريم بين التعريف والمفهوم عند البشير الإبراهيمي –تحليل لمقال: فلسفة جمعية العلماء " .

فاطمة الزهرة بلبال

البريد الإلكتروني :ostadafatima97@gmail.com

أستاذ محاضر – ب –

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية .

ملخص البحث :

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول لعلماء الأمة و دعاتها للنهضة بالمجتمع و تطوره الفكري و الحضاري و لذلك اخذته جمعية العلماء المسلمين في الدعوة إلى الله بنشر العلم و دحض البدع و الضلالات و كان من بين علمائها البارزين الإمام البشير الإبراهيمي الذي ساهم بمحاضراته و مقالاته في بيان المفهوم الحقيقي للقرآن الكريم و دوره الريادي في تحقيق العز المنشود للأمة الإسلامية و الرقي بها في مختلف المجالات.

Abstract

The Holy Qur an is the primary source for the nation s scolars and its advocates for the renaissance of society and its intellectual and cultular development , and for this reason the Association took it Muslim scholars in calling to god by spreading knowledge and refuting heresies and misguidance , and amoung its prominent scholars was Imam Al –Bashir Al–Ibrahimi , who contributed with his lectures and articules in explaining the true concept of the Holy Qur an and its pioneering role in achieving the desired glory . for the Islamic nation and its advancement in various fields.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم.

وبعد : لقد من الله على هذه الأمة بأن شرفها بدين الإسلام وأكرمها بإنزال القرآن الذي جمع الله فيه من المواعظ والأحكام ما فيه سعادة الإنسان وفلاحه في الدنيا والآخرة ولا يتأتى تحصيل ذلك إلا بحسن تلاوة كتابه والتدبر في آياته ومعانيه لاستخلاص الحكم و الأسرار التي تهدي إلى الصراط المستقيم والحق المبين.

ولذلك كان القرآن الكريم موضع ومحط عناية العلماء العاملين من سلف هذه الأمة وخلفها ،وكان من بين أولئك الأعلام الإمام محمد البشير الإبراهيمي أحد أبرز رواد النهضة في الجزائر حيث سعى لنشر

العلم وإصلاح المجتمع في وقت قل فيه العلم وانتشرت الأمية و البدع والضلالات وذلك إبان فترة الاستعمار فكان الناس بأمس الحاجة إلى هذا العلم و غيره من العلماء الذين ساهموا في إصلاح المجتمع وتطوره وذلك من خلال وسائل مختلفة أبرزها تلك المحاضرات والدروس التي كان يلقيها الإمام الإبراهيمي في المساجد و المدارس التي أسسها و كذا تلك المقالات التي كتبها في الصحف والمجلات التي تبرز مكانة الإمام ونبوغه الفكري واتجاهه الإصلاحي الذي آتى أكله في تأسيس جمعية العلماء المسلمين هو ورفيق دربه الإمام عبد الحميد بن باديس و غيره من خيرة أبناء الجزائر.

ومن تلك المقالات التي خصها بالحديث عن الجمعية مقال: فلسفة جمعية العلماء ، حيث اعتبر فيه الإمام الإبراهيمي القرآن الكريم المصدر الأول لأي عمل دعوي أو تطور فكري وحضاري فلا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ولا عز لها ولا رفعة إلا بالتمسك بكتابها وبسنة نبيها .

أولا: التعريف بالإمام محمد البشير الإبراهيمي.

أ–مولده ونشأته:

ولد محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد الإبراهيمي يوم الخميس في شهر جوان سنة 1889 في إقليم ريغة بقرية أولاد براهيم بجنوب سطيف من الشرق الجزائري.

اشتهرت عائلة الإبراهيمي بالعلم والدين، اهتم والده بترتبيه وتعليمه المبادئ الأولية من القراءة والكتاب وأدخله كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم فحفظه في تمام الثامنة من عمره كما حفظ بعض متون اللغة والنحو والفقه وحفظ الكثير من شعر العرب، أجازه عمه بتدريس العلوم التي أخذها عنه وهو في الرابعة عشر من عمره وقد توفي عمه آنذاك [1].

ب– رحلاته:

كان والد الإبراهيمي قد هاجر إلى المدينة سنة 1908، فلما تجاوز البشير الإبراهيمي العشرين سنة من عمره رحل إلى المدينة المنورة وزار مصرا ومكث فيها ثلاثة أشهر والتقى بعلمائها وشعرائها وأدباءها ثم خرج من القاهرة متوجها إلى المدينة المنورة وذلك سنة 1911 أين اجتمع بوالده رحمه الله تعالى وبالكثير من

---

[1] _البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، محمد مهداوي ط1،دمشق ،دار الفكر ،1408هـ1988م ص 33-37.

علماء المدينة في التفسير والحديث والسيرة النبوية، كما التقى بالإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة في الجزائر، وقد أثمر هذا اللقاء فكرة إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

والتقى الشيخ بعلمائها فطاب له المقام بها كما درس الأدب العربي بالمدرسة السلطانية بالإضافة إلى إلقاء دروس الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي.

عاد الشيخ الإبراهيمي إلى الجزائر سنة 1920م فأقام بمدينة سطيف وأنشأ بها مدرسة صغيرة إضافة إلى دروسه ومحاضراته التي كان يلقيها في المساجد، وكان مع ذلك يمارس حرفة التجارة، كما تعمقت العلاقة بينه وبين ابن باديس حيث تكثفت الزيارات والاتصالات، فكانت هذه السنوات إرهاصات لتأسيس جمعية العلماء المسلمين التي أعلن عن تأسيسها سنة 1931م، وعين الشيخ الإبراهيمي نائب لرئيسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس فبدأت الجمعية جهادها بمحاربة الآفات الإجتماعية وتصحيح الدين وتنقيته من البدع والضلالات ونشر العلم وتوحيد الأمة وتوسع نشاط الجمعية في جهات الوطن الثلاثة، الشيخ ابن باديس على الجهة الشرقية والشيخ الإبراهيمي على الجهة الغربية والشيخ الطيب العقبي على وسط البلاد، واختار الإمام البشير الإقامة في مدينة تلمسان التي أسس فيها مدرسة دار الحديث[1].

وبعد وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس تولى الشيخ البشير الإبراهيمي رئاسة الجمعية التي عمل من خلالها على نشر الوعي والإصلاح وذلك بفتح المدارس والمساجد، غير أنه زج به في السجن بعد أحداث 8 ماي 1945، وفي سنة 1947 استأنف نشاطه فبعث جريدة البصائر من جديد بعد أن توقفت، وأسس معهدًا باسم رفيقه عبد الحميد بن باديس، ثم سافر الإبراهيمي إلى المشرق للمرة الثانية وزار العديد من الدول العربية وذلك للتعريف بالقضية الجزائرية وزيادة الدعم للجمعية بعدها عاد الإبراهيمي إلى وطنه بعد استعادة الاستقلال وتوفي يوم الخميس 20 ماي 1965 عن عمر يناهز 76 سنة فرحمه الله رحمة واسعة[2].

---

[1]_ ينظر: آثار البشر الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ،ط1،بيروت: 1997،ج166/5، ص 280.

-محمد البشر الإبراهيمي شيخ العلماء وفارس البيان،بشير كاشة الفرحي ،الجزائر ،دار الآفاق ،2004م، ص 13-17.

[2]_البشير الإبراهيمي،نضاله وأدبه، ص 49-56.

ج–مؤلفاته:

ترك لنا الشيخ البشير الإبراهيمي مجموعة من المقالات والرسائل والمحاضرات التي نشرت في جريدة الشهاب والبصائر وغيرهما وقد تناولت مواضيع مختلفة، جمعها ابنه أحمد طالب الإبراهيمي في كتاب تحت عنوان "آثار محمد البشير الإبراهيمي" وذلك في خمس مجلدات، كما يذكر له عدة مصنفات جلّها في اللغة العربية وفنونها ولكنها ضاعت كلها ومن بينها:

–كتاب: بقايا فصيح اللغة العربية في اللهجة العامية في الجزائر.

–كتاب: أسرار الضمائر العربية.

–كتاب: نظام العربية في موازين كلماتها.

–كتاب: الاطراد والشذوذ في العربية.

–كتاب: رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية [1].

والشيء الذي سعى من أجله الإمام الإبراهيمي طيلة حياته هو تكوين الرجال بترسيخ المبادئ و القيم الإسلامية في عقولهم و قلوبهم ، إذ يقول الإبراهيمي : " لم يتسع و قتي للتأليف و الكتابة ، مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا ، و لكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا ، و عملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده ، وصححت له دينه و لغته فأصبح مسلما عربيا [2]".

د . مكانته :

كان الإمام الإبراهيمي يتسم بصفات شخصية و علمية يشهد لها العلماء و الأئمة من داخل الوطن و خارجه فكان الرجل معروفا بقوة الشخصية و سرعة البديهة و فصاحة اللسان وروعة البيان إضافة إلى نبل أخلاقه و كرمه حيث أنه كان يؤثر أصدقاءه و تلامذته على نفسه ، وما أغضى عن يد امتدت إليه و لا أشاح بوجه عن طالب ، ولاضن بجاه أو جهد على مستجير ، ولا برأي على

---

[1]_البشير الإبراهيمي، نضاله وأدبه، ص 64-62.

[2]- آثار البشير الإبراهيمي 288/5

مستشير ، و لا بعون لصاحب حاجة ، كان إذا أعوزه الأمر استدان ليفك ضائقة إخوانه ، وكان يتابع حاجات الناس و مشاكلهم حتى تقضى أو تحل من غير غفلة ولا نسيان [1].

وقد قال عنه علامة الشام محمد بهجة البيطار :"إلى إمام النهضة الثاني ، العالم الرباني ، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أدام المولى فضله ....ما ذكرتك فترة في نفسي أو في ملء من قومي إلا وذكرت معك الدين الخالص ، والعلم النافع و العمل الصالح ،والأدب الجم والرعاية التامة للإخوان ونشر الثقافة العامة بين طبقات المتعلمين، و ما زلنا نعطر المسامع و المجامع ....من الأخذ عن شيخينا عالمي المغرب ، الخضر والبشير ، ولقد كنا نجلس الساعات الطوال من ليل أو نهار ونحن مقبلون على هذين العلمين ، وهما ينثران على مسامعنا من درر المباحث العالية والمطالب الغالية ما يعد لباب اللباب في كل علم وباب "[2].

ثانيا: التعريف بالقرآن الكريم:

أ–القرآن لغة:

القرآن مصدر مشتق مهموز من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، والقرآن في الأصل مصدر نحو الحفران ورجحان قال تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)]** [القيامة:17-18] قال ابن عباس: إنا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد ص فصار له كالعلم كما أن التوراة أنزل على موسى والإنجيل على عيسى.

قال بعض العلماء: «تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: (وتفصيل كل شيء] وقوله: (تبيانا كل شيء] و(قرآن الفجر] أي قراءته القرآن الكريم وأقرأت فلانا كذا قال: (سنقرئك فلا تنسى][3].

---

[1]– عيون البصائر ،محمد البشير الإبراهيمي ،الجزائر ،دار الأمة،،2007م ص9

[2]– البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه ،ص71.70 .

[3]_المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت محمد خليل عيتاني، ط6، بيروت، دار المعرفة، 1431هـ-2010م، ص 400.

ب–القرآن اصطلاحا:

القرآن هو كلام الله المنزل على محمد ص المتعبد بتلاوته وكلام الله المنزل يخرج كلان الله الذي استأثر به سبحانه **(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا]** [الكهف: 109]، وتقيد المنزل بكونه "على محمد ص" يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

و"المتعبد بتلاوته" يُخرج قراءات الآحاد والاحاديث القدسية –إن قلنا أنها منزلة من عند الله بألفاظها، لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك[1].

ويقال للقرآن: فرقانا أيضا وأصله مصدر أيضا ثم سمي النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات قال تعالى: **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ]** [الفرقان:01] [2].

ووصف لنا الله تعالى القرآن بأوصاف متعددة منها ما جاء في قوله تعالى: **(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)]**[ق:11]، وقوله: **(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1)]** [ص:01] ووصف القرآن بانه عربي مبين، وقرر الله أن هذا القرآن ميسر للذكر، فقال: **(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ]** [القمر: 17].

وبين أنه ضرب في هذا القرآن للناس من كل مثل لعلهم يتذكرون أو يتفكرون فقال تعالى: **(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا]** [الإسراء: 89].

ودعانا الله عز وجل إلى أن نتهيأ لتلاوة القرآن بالاستعاذة من الشيطان وذلك في قوله: **(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98)]** [النحل: 98].

وعند الاستماع لآيات القرآن لابد من التدبر والتفهم لما جاء من الآيات فقد قال عز وجل: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا]** [محمد:24].

---

[1]_ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ط3، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ–2000م، ص 17.

[2]_ مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ط3،بيروت،دار المعرفة،1426هـ2005م،(17/1).

وبتدبر القرآن يحصل الهدى والرشاد ويكون الشفاء والرحمة للمؤمنين لقوله تعالى: **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ]** [الإسراء: 9].

وقال: **(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ]** [الإسراء: 82] [1].

ثالثا: تعريف القرآن الكريم ومفهومه عند البشير الإبراهيمي:

ذكر الشيخ الإبراهيمي في مقال تحت عنوان: -فلسفة جمعية العلماء-التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم كما هو معروف عند علماء القرآن «بأنه هذه الأحزاب الستون التي نقرأها اليوم بألفاظها وحروفها ونقوشها منقولا بالتواتر القطعي، محفوظا بحفظ الله من كل ما أصاب الكتب السماوية من قبله من النسيان والتبديل وتحريف الكلم عن مواضعه".

ولكن الإمام هنا يبين لنا المفهوم الحقيقي للقرآن الكريم بأنه ليس في هذا الحفظ الجاف الذي نحفظه ولا في هذه التلاوة الشلاء التي نتلوها وليس من المقاصد التي أنزل لتحقيقها تلاوته على الأموات ولا اتخاذه مكسبه والاستشفاء به من الأمراض الجسمانية، ثم لا نرى لها أي أثر على سلوك ونفوس حفاظة حيث إنهم يقعون في المزالق فلا يهديهم مع انهم يقرءون فيه **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ]** [الإسراء:09][2]، مع أن هذا القرآن مصدر سعادة وهداية لسلفنا الصالح وجمعهم على التقوى.

ولا يعني كلام الإبراهيمي أن لا نستشفى بالقرآن فقد روى عن النبي ص «أنه كان إذا مرض يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث»[3].

وإنما لا يتخذ هذا الامر مقصدًا أساسيًا أو جوهريًا للقرآن والتغاضي عن الاهتداء بالقرآن والاسترشاد به في كل أمور حياتنا، ويكون ذلك بتدبره وفهمه لقوله تعالى: **(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ]**[ص: 29]، وقد صنف لنا الإمام الحسن البصري قراء القرآن إلى ثلاثة أصناف فقال: «صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به ،وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم واستدروا به الولاة كثر هذا الضرب من حملة القرآن لاكثرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن

---

[1]_ مفاتيح التعامل مع القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط3، دمشق، دار القلم، 1424هـ-2003م، ص 21-22.

[2]_آثار البشير الإبراهيمي، 1/ 160.

[3]_صحيح البخاري، (128/6).

فوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به في محاربهم وخنوا به في برانسهم واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث وينصرهم على الاعداء..." [1].

رابعاً: أسرار القرآن عند الإبراهيمي:

للقرآن الكريم عند الشيخ الإبراهيمي أسرار عدة من بينها، تدبر القرآن وفهمه والتخلق بأخلاقه ولكن السر الاعظم في القرآن يكمن في اتباعه لقوله تعالى: **(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ]** [الأعراف:3] وقوله: **(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)]** [الأنعام:155] وقوله:(**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ]** [الأنعام: 153] [2].

يقول ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى: **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ]** [البقرة: 121] قال: «يتبعونه حق اتباعه».

وعن الحسن أنه قال: «إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرأه»[3].

وقد استشهد الإمام الإبراهيمي بآية كريمة في مسألة الاتباع وهي قوله تعالى: **(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ]** [آل عمران: 53] حيث قال الإبراهيمي عندما أجرى مقارنة بين إيماننا وإيمان الأولين: « الذين آمنوا فأمنوا واتبعوا فارتفعوا، ونحن آمنا إيمانا معلولاً واتبعنا اتباعًا مدخولاً وكل يجني عواقب ما زرع»[4].

ويلاحظ على الآية السالفة التي استشهد بها الإمام في الاتباع أن الكثير من المفسرين ذكر أن المراد بالآية الحواريون الذين آمنوا بالإنجيل واتبعوا الرسول عيسى ورغبوا أن يكونوا عنده في عداد من شهد بالحق من مؤمني الأمم"[5]، وفي ذلك يقول الإمام أبو حيان الأندلسي :" ربنا ءامنا بما أنزلت : أي من الآيات الدالة على صدق أنبيائك أو : بما أنزلت من كلامك على الرسل أو بالإنجيل و "و اتبعنا الرسول " هو

---

[1]_فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، بيروت، المكتبة العصرية،1430هـ2009م ص 35.

[2]_آثار البشير الإبراهيمي، 160/1

[3]_فضائل القرآن، ص 36-37.

[4]_آثار البشير الإبراهيمي ،1/ 158.

[5]_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية،ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ط1،بيروت ،دار الكتب العلمية ،1413هـ1993م.428/1

عيسى على قول الجمهور "فاكتبنا مع الشاهدين " هم : محمد صلى الله عليه و سلم و أمته لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ ، و محمد ص يشهد لهم بالصدق ....[1]"

وهناك من المفسرين من ربط الاتباع بالعمل حيث قال: "ذكر الإتباع بعد الإيمان لأن العلم الصحيح يستلزم العمل والعلم الذي لا أثر له في العمل يشبه أن يكون مجملا وناقصا يقينا وإيمانًا، وكثيرا ما يظن الإنسان أنه عالم بشيء حتى إذا حاول العمل به لم يُحسنه فيتبين له أنه كان مخطئا في دعوى العلم ثم قال: إن العلم بالشيء يظل مُجملاً مبهمًا في النفس حتى يعمل به صاحبه فيكون بالعمل تفصيليا فذكر الحواريون الاتباع بعد الإيمان يفيد أن إيمانهم كان في مرتبة اليقين التفصيلي الحاكم على النفس المصرف لها في العمل فاكتبنا مع الشاهدين للرسول بتبليغ الدعوة ، و على قومه بما كان منهم من الكفر و الجحود»[(2)].

وهناك من ربطها بوجوب اتباع الرسول لأن فيها تعهد لله بإتباع الرسول فليس الأمر مجرد عقيدة في الضمير ولكنه اتباع لمنهج والاقتداء فيه بالرسول وهو المعنى الذي يركز عليه سياق هذه السورة كما رأينا ويكرره بشتى الأساليب .....إن المسلم المؤمن بدين الله مطلوب منه أن يؤدي شهادة لهذا الدين شهادة تؤيد حق هذا الدين في البقاء وتؤيد الخير الذي يحمله هذا الدين للبشر وهو لا يؤدي هذه الشهادة حتى يجعل من نفسه ومن خلقه ومن سلوكه ومن حياته صورة حية لهذا الدين، صورة يراها الناس فيرون فيها مثالا رفيعا يشهد لهذا الدين بالأحقية في الوجود وبالخيرية في الأفضلية على سائر ما في الأرض من أنظمة وأوضاع...» [(3)].

واعتبر الإمام الإبراهيمي في مقال آخر له أن الاتباع هو ثمرة التدبر وقد تكرر ذكره في القرآن في معارض شتى تدل مستعرضها على أنه هو سر التدين والتأله وأنه المحقق للكمال وأنه العاصم من الضلال والهلاك لقوله تعالى " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه "[الأنعام 153] " فاتبعوني يحببكم الله"[آل عمران31] " واتبع سبيل من أناب إلي "[لقمان 15] " اتبعوا المرسلين "[يس 20].. إن الاتباع ضرب

---

[1]– ا البحر المحيط ، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي ط1 ،بيروت: دار إحياء التراث العربي ،2002.1423 ، 251/3 .

[(2)]_ محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، 259/3.

[(3)]_سيد قطب، في ظلال القرآن، ط34، (القاهرة، دار الشروق، 1425-2004م)، (402/1).

من قفو أثر الغير وترسم خطاه والانقياد له وجعل الهوى تبعا للهوى مع اطمئنان بالمشاركة في النتيجة خيرًا كانت أو شرا... فالله يأمرك بالتدبر واستعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية قبل أن يأمرك بالاتباع حتى تطمئن إلى أنك إنما تتبع فيما فيه حق وخير ورحمة، ثم إذا أمرك بالإتباع فإنما ذلك فيما يتعالى على فكرك إدراكه أو يصعب عليك تمييزه، أو يخاف فيه غلبة الأهواء عليك و بعد الأمر ينهى عن اتباع الهوى المضل عن سبيل الحق و عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون و عن اتباع خطوات الشيطان و عن اتباع أولياء من دون الله و عن اتباع السبل المتفرقة توكيدا للمعنى الإيجابي و إيضاحا للحق الذي يجب أن يتبع... إلى ان قال: تدبر القرآن واتباعه هما فرق ما بين أول الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل فعدم التدبر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل[1].

خامسا: آثار القرآن الكريم:

لقد شرح لنا الإمام الإبراهيمي في هذا المقال كيف أثر القرآن الكريم على من اتبعه من المؤمنين ويمكن بيان ذلك في النقاط التالية:

1-أن القرآن الكريم أثر على الارواح فحررها من العبودية للأوثان الحجرية والبشرية كما حرر الأبدان من الطاعة والخضوع للجبابرة.

2-أن في القرآن جلاء للعقول على النور الإلهي فأصبحت تلك العقول كاشفة عن الحقائق العليا.

3-أن القرآن طهر النفوس من أدران السقوط والإسفاف إلى الدنايا فأصبحت تلك النفوس نزاعة إلى المعالي مقدمة على العظائم.

4-الدعوة إلى التفكر والاعتبار وذلك بالسير في مناكب الأرض والتذكر في ملكوت السموات والأرض وذلك لاستغلال فكر الإنسان وعقله فيما ينفعه.

5-تحديد صلة الروح بالجسد ومدى تعاونهما في التدبير وكيفية الجمع بين مطالبهما المتباينة[2]، حيث أن القرآن جاء بمطالب الروح والجسد بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر من أجلها كان المسلمون

---

[1]_آثار البشير الإبراهيمي،(320/1).

[2]_أثار البشير الإبراهيمي، (159/1).

أمة وسطا بين من تغلب عليهم المادية والحظوظ الجسدية ومن تغلب عليهم النواحي الروحية[1].

6-تقرير القرآن بمبدأ المساواة بين بني البشر وأن الإنسان أخو الإنسان ليس سيده ولا عبده.

وقد تجسدت هذه الآثار على نفوس أصحابها بفتح آذانهم قبل بلدانهم وامتلكت أرواحهم قبل أجسادهم[2].

وبذلك يكون إصلاح المجتمع وتوحيد صفوفه بإزالة الفوارق التي تباعد بينهم وذلك بإقراره بتساوي جميع الناس أمام الله ودينه وشريعته وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وأنهم أمة واحدة جمع بينهم الإسلام فاصبحوا إخوة فيه[3].

سادسا: أسلوب البشير الإبراهيمي في المقال.

لقد لاحظنا في مقال الإمام الإبراهيمي بعض المميزات التي اتسم بها أسلوبه في العرض وهي كالآتي:

1-يعتمد الإمام الإبراهيمي في عرضه للمقال على أسلوب الحوار وذلك بطرح أسئلة عن سبب شقاء المسلمين وبعدهم عن القرآن إلى غير ذلك من الأسئلة وهذا للبحث عن أفكار وآراء حقيقية واستبعاد أفكار أخرى غير مقصودة وذلك لتهيئة ذهن القارئ لعملية الفهم والتعمق في الموضوع و مثال ذلك ما جاء في قوله "كيف يشقى المسلمون و عندهم القرآن الذي أسعد سلفهم ؟ أم كيف يتفرقون و يضلون و عندهم الكتاب الذي جمع أولهم على التقوى....."[4]

2-أسلوب الإبراهيمي من خلال المقال ينتقل فيه من الحقيقة العامة إلى الحقيقة الجزئية أو من الكل إلى الجزء وهي إحدى الطرق التي يتبعها العقل في الوصول من المعلوم إلى المجهول فينتقل الذهن فيها من القاعدة العامة إلى الأفكار الجزئية وانتقل هنا الإمام من الحديث عن التعريف العام للقرآن (الاصطلاحي) إلى المفهوم الحقيقي للقرآن.

3-يستعمل الإمام المقارنة بين الماضي والحاضر ليبين أثر القرآن الكريم في سلوك أتباعه وأخلاقهم.

---

[1]_الزرقاني، المصدر السابق، (246/2).

[2]_آثار البشير الإبراهيمي، (159/1).

[3]_الزرقاني، المصدر السابق، (232/2).

-آثار البشير الإبراهيمي 158/1 -

4-يجمع الإمام الإبراهيم في مقالاته بين الجمال الأدبي في الصياغة والتعبير عن الأفكار والحقائق، حيث لم يكن الإبراهيمي يُعنى بتصوير الواقع ومعالجته كما هو بأسلوب مباشر تتغلب فيه الأفكار والحقائق على العاطفة والشعور وإنما كان يجمع بين التعبير عن الواقع ومعالجة قضاياه وبين الجمال الأدبي في الصياغة فتأتي المقالة مفيدة وممتعة في نفس الوقت[1].

خاتمة :

توصلت في نهاية هذا البحث إلى نتائج أوجزها فيما يلي:

-تميز الإمام الإبراهيمي بنظرة ثاقبة وفكر واقعي جعله يفرق بين المصطلحات و معانيها الحقيقية كما جاء ذلك في تعريفه للقرآن الكريم وبيانه لواقع المسلمين الذي لا يتجسد فيه أثر القرآن الكريم في حين أنه كان مصدر سعادة ورفعة المسلمين الأوائل.

-يهدف البشير الإبراهيمي من خلال هذا المقال إلى حث المسلمين ودعوتهم إلى التمسك بالقرآن الكريم الذي هو سر تفوقهم و مكمن قوتهم وكذا ربطهم بسلفهم الصالح الذين عرفوا حقيقة القرآن الكريم فتمثل في سلوكهم وأخلاقهم .

-لقد حاول الإمام الإبراهيمي تحرير العقول والأفكار من الممارسات التي تبعد المسلم عن روح القرآن وسره العظيم الذي يكمن في حقيقة تدبر آياته المفضي إلى اتباع هديه المنير والسير في طريقه المستقيم.

قائمة المصادر و المراجع :

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، أحمد طالب الإبراهيمي ، ط1بيروت : دار الغرب الإسلامي ،1997.
- البحر المحيط ، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي ط1 ،بيروت: دار إحياء التراث العربي ،1423.2002.

[1]_البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، المصدر السابق، ص 133.

- تفسير القرآن الكريم [تفسير المنار] ،محمد رشيد بن علي رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1990.
- الشيخ البشير الإبراهيمي ،شيخ العلماء و فارس البيان ، بشير كاشة الفرحي ، الجزائر ، دار الآفاق ،2004.
- عيون البصائر ،محمد البشير الإبراهيمي ،الجزائر،شركة دار الأمة ،2007 ،ص9
- فضائل القرآن ، أبو عبيد القاسم بن سلام ت: عدنان العلي ،بيروت:المكتبة العصرية ،1430هـ2009م.
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ط34،القاهرة ،دار الشروق،1425هـ2004م.
- مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ،ط3،الرياض:مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ،1421هـ2000م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية،ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ط1،بيروت ،دار الكتب العلمية ،1413هـ1993م.
- مفاتيح التعامل مع القرآن ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ،ط3،دمشق،دار القلم ،1424هـ2003م.
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ،ت : محمد خليل عيتاني ،ط6،بيروت ،دار المعرفة ،1431هـ2010م
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ط3،بيروت ، دار المعرفة ،1426هـ2005م.